

## مَعِيَّةُ اللَّهِ

**مَعِيَّةُ اللَّهِ:** إِمَّا عَامَّةٌ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ؛ قَالَ تَعَالَى: ((وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)) [الحديد: ٤]، وتشمل جميع المخلوقات، وهي معية علم، وسمع، وبصر، وإحاطة، وقدرة، وغلبة، وهو مع ذلك بذاته فوق عرشه، وإمَّا خَاصَّةٌ، وهي معيته مع خواص خلقه بالنصرة، واللفظ، والتأييد.

**المعية الخاصة:** وهي معية الإطلاع والنصرة والتأييد والتوفيق؛ وسميت خاصة لأنها تخصُّ أنبياء الله وأوليائه دون غيرهم من الخلق، وقد وردت في القرآن في مواطن كثيرة: قَالَ تَعَالَى: ((إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [البقرة: ١٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) [البقرة: ١٩٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ((وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [البقرة: ٢٤٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ((وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)) [المائدة: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ((وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)) [الأنفال: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ((وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [الأنفال: ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) [التوبة: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ((وَالَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)) [النحل: ١٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)) [العنكبوت: ٦٩]، وفي الحديث القدسي: "يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرب إلي بشبرٍ

تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً".<sup>٢٧٦</sup>، وفي رواية: "قال الله عزَّ وجلَّ، أنا عند ظنِّ عبدي، وأنا معه إذا دعاني".<sup>٢٧٧</sup>؛ أي إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُحْسِنِينَ، الْمُتَّقِينَ، الصَّابِرِينَ، الْمُتَزِمِينَ [بشرع الله تعالى والمقيمين له]، الذاكرين [الله]، الداعين [الله]؛ بعونه وتوفيجه وتأييده ونصره ومحبه وقربه وتسديده وهدايته وكفايته، قَالَ تَعَالَى: ((إِنَّ مَعِيَ رَجِي سَيِّدِينَ)) [الشعراء: ٦٢].

**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ:**  
• **مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**<sup>٢٧٨</sup>.

٢٧٦ متفق عليه: البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥ باختلاف يسير.  
٢٧٧ حديثٌ صحيحٌ: صححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد ٤٨٠؛ أخرجه البخاري ٧٤٠٥ أوله في أثناء حديث، ومسلم ٢٦٧٥ باختلاف يسير.  
٢٧٨ الإيمان: هو التصديق بكل ما أخبر الله به ورسوله، وبكل ما شرعه الله لعباده؛ قولاً وعملاً وعقيدة، فالإيمان اعتقادٌ بالجنان بالقلب وتصديقٌ باللسان وعملٌ بالأركان. والإيمان الحق يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. والمؤمن حقاً هو من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وهذه الستة هي أصول الإيمان ومبانيه، وعليها مداره ويتبعها التصديق بكل ما أخبر الله به ورسوله من فروع الإيمان بالله: [الجنة والنار والحساب والجزاء وأخبار الرسل الماضين وما جرى عليهم وما جرى لأممهم، وما يكون يوم القيامة]، يقول الله تبارك وتعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال: ٢ - ٤]، ذكرت هذه الآيات الصفات التي تميز المؤمنين حقاً، الذين اكتمل إيمانهم، فكانوا القدوة الصالحة للمسلمين، وهي الصفات الآتية:

١- تأثرهم بذكر الله تأثراً إيجابياً يدفعهم إلى العمل بالأوامر، وترك الزواجر.

٢- إيمانهم النامي المتزايد المتقدّم.

٣- توكلهم على الله وحده.

## • مَعَ الْمُحْسِنِينَ ٢٧٩.

٤- إقامتهم الصلاة.

٥- إنفاقهم مما رزقهم الله.

قال سبحانه: ((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا \* وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا \* إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا \* وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا \* وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ)) [الفرقان: ٦٣-٦٨]، وقال سبحانه: ((وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ)) [الفرقان: ٧٢] {أي: لا يحضرونه، والزور هو الباطل والمنكر من سائر المعاصي والكفر، لا يشهدونه بل ينكرونه ويحاربونه}، وقال سبحانه: ((وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)) [الفرقان: ٧٢] {أعرضوا عنه}، كما في الآية الأخرى: ((وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ)) [القصص: ٥٥]، ((وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)) [الفرقان: ٧٣] {بل يخرون عن خشوع وعن إقبال على الله وعن تعظيم الله، هكذا المؤمن والمؤمنة إذا ذكروا بآيات الله، خشعوا لذلك ولانت قلوبهم وعظموا ربهم وبكوا من خشيته، يرجون ثوابه ويخشون عقابه سبحانه وتعالى}، وقال سبحانه: ((وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)) [الفرقان: ٧٤].

٢٧٩ من أبلغ الأقوال في الإحسان قول من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" [متفق عليه؛ البخاري ٥٠، ومسلم ٨]، والإحسان على مرتبتين متفاوتتين: مقام المشاهدة: (أعلاهما) عبادة الله كأنك تراه، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه حيث يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان.

مقام المراقبة: وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله تعالى وإرادته بالعمل، قال الحارث المحاسبي: «أوائل المراقبة علم القلب بقرب الرب»، وقال بعض السلف: "من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص".

## • مَعَ الْمُتَّقِينَ ٢٨٠ •

وقالوا أيضاً في الإحسان: «فعل الخيرات على أكمل وجه». «تحسين الظاهر والباطن». «الإتيان بغاية ما يمكن من تحسين العمل المأمور به، ولا يترك شيئاً مما أمر به». «امتلاء القلب بحقيقة الألوهية كأنه يشاهد الله عياناً». «مراعاة الخشوع والخضوع».

فالإحسان: هو أداء الواجبات وترك المحرمات والاجتهاد في أنواع الخير زيادة على ذلك من الصدقة على الفقير ومواساة المحتاج، والإعانة على الخير، وعيادة المريض، الشفاعة في حق المظلوم ونصره، ردع الظالم، تسميت العاطس، رد السلام، البداءة بالسلام، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الدعوة إلى الله، تعليم الناس الخير، وأهل الإحسان هم الذين يؤدون الواجبات وينتهون عن المحرمات، ومع ذلك يجتهدون في وجوه الخير، وأعمال الخير الذي لا تجب عليهم يجتهدون فيها حتى يستوفوا منها الخير الكثير؛ فالمحسن يعبد الله كأنه يراه كأنه يشاهده، فإن لم يستحق هذه الدرجة عمل على أن الله يراقبه، وأن الله يطلع على أعماله وهو يستحضر هذه المشاهدة، يستحضرها حتى يكون ذلك أشجع له على فعل الخيرات والمصارعة إلى الطاعات والكف عن المحرمات والعناية بالواجبات، ويحرص على كل خير من واجب ومستحب ويتباعد عن كل شر وعن كل ما ينبغي تركه ولو كان غير محرم.

قال ابن تيمية: "جعل النبي صلى الله عليه وسلم الدين ثلاث درجات: أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليها الإسلام. فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسنًا، ولا كل مسلم مؤمنًا"، ثم قال: "وأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين" [مجموع فتاوى ابن تيمية؛ ج ٧ ص ١٠-٧].

٢٨٠ التقوى كلمة جامعة لأفعال الخير القولية والفعلية والاعتقادات والنيات فهي شاملة لكل أعمال العبد ظاهرها وباطنها عليه أن يتقي الله فيها أن يتقي الله فيما بينه وبين الله بأداء فرائضه وترك منهياته، يتق الله فيما بينه وبينه فيعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فليعلم أن الله يراه فيحسن العمل ويتقي ربه في جميع أحواله، فيتقي ربه في أي مكان، ويتقي ربه على كل حال في السراء والضراء.

وقد اختلفت عبارات السلف في تفسير التقوى وهي تجتمع بمعنى واحد: "فعل أوامر الله جل وعلا رغبة في ثوابه وترك المحرمات خوفاً من عقابه"؛ [أي: هي بفعل الأوامر وترك النواهي وأداء الفرائض واجتناب المحارم واكتساب فضائل واجتناب الرذائل]، وقيل التقوى: "إلا يفقدك الله حيث امرك ولا يجذك حيث نهاك"، وقيل: "أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية".

- **مَعَ الصَّابِرِينَ:** قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ: ((قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۖ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) [الزُّمَرُ: ١٠]، والصبر ثلاثة أنواع:
- صبر على طاعة الله بالجهد واداء الحقوق.
- صبر عن معاصي الله بالكف عما حرم الله قولاً وعملاً.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والإستعداد ليوم الرحيل"، وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ((اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ)) [آل عمران: ١٠٢]، قال: "أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ"، وقال طلق بن حبيب رحمه الله: "التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً يكون حجاباً بينه وبين الحرام فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فلا! تحقرن شيئاً من الخير أن تفعله ولا شيئاً من الشر أن تتقيه"، وقال الثوري رحمه الله: "إنما سمو المتقين؛ لأنهم اتقوا ما لا يُتَّقَى"، وقال ابن عباس رضي الله عنه: "المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به"، وقال الحسن رحمه الله: "المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما اقترض الله عليهم"، وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: "ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير"، وقال موسى بن أعين رحمه الله: "المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام فسأهم الله متقين"، وقال ميمون بن مهران رحمه الله: "المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه"، وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال أبو هريرة رضي الله عنه وسئل عن التقوى فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه، قال: ذاك التقوى"، وقال بن رجب رحمه الله: "وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه".

- الصبر على قضاء الله وقدره، مما يصيب الناس من جراح أو قتل أو مرض أو غير ذلك.
- **مَعَ الْمُتَزِمِينَ بِشَرَعِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُقِيمِينَ لَهُ:** قَالَ تَعَالَى: ((وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)) [المائدة: ١٢]؛ إقامة الصلاة: ((لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ)) ظاهرا وباطنا، بالإتيان بما يلزم وينبغي فيها، والمداومة على ذلك، وإيتاء الزكاة: ((وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ)) لمستحقيها، والإيمان بالمنهج، وتأيد الرسل بتطبيق تعليماتهم: ((وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي)) جميعهم، الذين أفضلهم وأكملهم محمد صلى الله عليه وسلم، ((وَعَزَّرْتُمُوهُمْ)) أي: عظمتموهم، وأدبتم ما يجب لهم من الاحترام والطاعة، ((وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)) وهو الصدقة والإحسان، الصادر عن الصدق والإخلاص وطيب المكسب.
- **مَعَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ:** فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي".
- **مَعَ الدَّاعِينَ اللَّهَ:** فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: "قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي".